حالنا مع الصلاة ١٦/ ١١/ ١٤٤٥هـ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد: فيا أيها المسلمون: اتقوا الله ربَّ العالمين، وكونوا بدينكم مستمسكين، وعلى عموده محافظين، وفيه خاشعين خاضعين، تسلكوا سبيل المفلحين.

معاشر المسلمين: موسمٌ عظيم، ومنهل عذب كريم، يتكرر كلَّ يوم خمس مرات، وكثير من الناس في غفلة عن تحقيق آثاره، يقول الرسول ﷺ (أرأيتم لو أن نهرًا غَمْرًا بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟!) قالوا: لا يبقى من درنه شيء ، قال: (فذلك مثلُ الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا) [متفق عليه].

معاشر المسلمين :التنافس في جمع حطام الدنيا، وانشغال القلوب بها، ونسيان الدار الآخرة، والغفلة عن العمل لها، في خضم هذه الدوامة: تناسى بعض الناس مكانة الصلاة، فلم يُبالوا بها، ولم يكترثوا بإقامتها، وصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً).

وصنف آخر: يؤديها ولكن مع الوقوع في الزلل، يصلُّون ولكن لا ترى آثار الصلاة عليهم، لا يتأدبون بآدابها، ولا يلتزمون بأركانها وواجباتها، صلاتهم صورية عادية، يصلون جسدًا بلا روح، وبدنًا بلا قلب، وحركاتٍ بلا مشاعر وأحاسيس، صلاتهم مرتعٌ للوساوس والهواجس، يأتي الشيطانُ أحدَهم وهو في صلاته، فيجعله يصول ويجول بفكره في مجالات الدنيا، يتحرك ويتشاغل، يستطيل ويتثاقل، ويلتفت بقلبه وبصره إلى حيث يريد، فيسلِّم من صلاته ولم يعقل منها إلا قليلا، بل لعلَّ بعضهم لا يعقل منها شيئا.

أيها المسلمون :الصلاة غذاء القلوب، وزاد الأرواح، مناجاةٌ ودعاء، خضوع وثناء، تذلل وبكاء، وتوسل ورجاء، واعتصام والتجاء، وتواضع لكبرياء الله، وخضوع لعظمة الله ، وانطراح بين يديه، وانكسار وافتقار إليه، تذللٌ وعبودية، تقرب وخشوع لجناب الربوبية والألوهية، إنها ملجأ المسلم، وملاذ المؤمن، فيها يجد البلسم الشافي، والدواء الكافي، والغذاء الوافي، إنها خير عدة وسلاح، وأفضل جُنَّة وكفاح، وأعظم وسيلة للصلاح والفلاح والنجاح، تُنشئ في النفوس، قوةً روحية، وإيمانًا راسخًا، ويقينًا عميقًا، ونورًا يبدد ظلمات الفتن، ويقاوم أعتى المغريات والمحن، فما أعظم الأجر، وأوفر الحظ، لمن أداها على الوجه الشرعي،

أخرج الإمام أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال: (خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن ، وأتم ركوعهن وخشوعهن كان على الله عهدٌ أن يغفر له).

أيها الإخوة المصلون: لقد مدح الله المؤمنين، ووصفهم بالخشوع له في أجلّ عباداتهم، ورتب على ذلك الفوز والفلاح، فقال جل وعلا (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ) قال ابن رجب: إذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح، لأنها تابعة له.

وقد رأى بعض السلف: رجلاً يعبث بيده في الصلاة فقال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه". وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى (ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ) قال: (خائفون ساكنون) وقال ابن سيرين: "كانوا يغضون أبصارهم إلى موضع سجودهم".

الله أكبر: هذا هو منهج السلف الصالح رحمهم الله، الذين كانت قلوبهم تستشعر رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله، فتسكن وتخشع، فيسري الخشوع منها إلى جميع الجوارح، وكلِّ الحركات والملامح، ويغشى أرواحَهم جلالُ الله وعظمته، وهم يقفون بين يديه، فتختفي من أذهانهم جميعُ الشواغل، عندما يشتغلون بلذيذ المناجاة للجبار ﷻ ، وحينئذ تكون الصلاة راحة قلبية، وطمأنينة نفسية، وقرة عين حقيقية، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ، وفي المسند وغيره أن رسول الله ﷺ قال: (قم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة) [رواه أحمد وأبو داود] الله أكبر، إنها الراحة الدائمة للنفوس المطمئنة، لكي تشعر من خلال أدائها أنها تناجي من بيده ملكوت كل شيء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ) أستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه كان عفوًا غفورًا.

.....

الحمد لله الذي جعل لكل شيء عمادًا، وجعل الصلاة لنا ذخرًا وزادًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، فلا شركاء ولا أندادًا، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أكمل الأمة إيمانًا وصلاة وأعظمها عبادة وجهادًا، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه إلى يوم يبعث الناس زرافات وفرادًا ... أما بعد: فاتقوا الله عباد الله وعظموا شعائر دينكم، واستحضروا فيها عظمة بارئكم جل وعلا، وفرغوا قلوبكم من الشواغل الدنيوية والعلائق المادية، وأقيموا صلاتكم بقلوب حاضرة خاشعة.

واعلموا - يا رعاكم الله - أن من أكبر ما يُعين على الخشوع في الصلاة: حضور القلب فيها، واستشعار عظمة وجلال الخالق جل وعلا، وتفريغ القلوب من الصوارف عن الله والدار الآخرة، والتخفف من مشاغل الدنيا، وعمارة القلوب بالإيمان، وسد مداخل الشيطان على الإنسان .

ومما يعين على ذلك أيضًا: قصْر النظر على موضع السجود، ووضع اليد اليمنى على اليسرى حال القيام، والتدبر فيما يُقرأ من القرآن، وفيما يُردَّد من الأدعية، وعدم الالتفات، ومراعاة الطمأنينة، والحذر من العجلة ومسابقة الإمام، والحذر من العبث والحركة، كل ذلك - مع توفيق الله عز وجل - من الأسباب التي تعين المسلم على إقامة الصلاة كما شرع الله، وكما سن رسوله ﷺ.

ألا فاتقوا الله عباد الله: واحرصوا على إقامة صلاتكم فإنها نور لكم في الأرض، وذخر لكم في السماء، هذا وصلوا وسلموا رحمكم الله على نبينا محمد بن عبدالله {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً } اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمّر أعداءك أعداء الدين، انك أنت القوي العزيز، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم وفق ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين لما تحب وترضى، وخذ بنواصيهم للبر والتقوى، اللهم اغفر لنا ولأمهاتنا وآبائنا، وقراباتنا والمسلمين أجمعين، الأحياء منهم والميتين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله الجليل العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.